العدد ٨ من السنة الأولى جمادى الثانية سنة ١٣٥٩ — أغسطس سنة ١٩٤٠

الشؤون الاجتماعية والتعاون

مجلة شهرية تصدرها وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة
قيمة الاشتراك فى اثنى عشر عددا ... ... ١٥ قرشا

ليس للمجلة وكلاء ولا محصلون

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس مواد العدد

الموضوع		صفحة
أخلاق انجليزية	أحمد محمد حسنين باشا	٣
تفاوت السن بين الزوجين	على جمال الدين باشا	١٠
الوعظ الدينى فى خدمة المجتمع	عبد السلام الشاذلى باشا	١٣
حاجتنا إلى المرأة	دكتور محمد عبد المنعم رياض بك	١٨
الآثار المصرية فى الجيل الليبى	خليل مطران بك	٢١
العقل — المال — الجاه	محمد أحمد جاد المولى بك	٢٣
الكتب المدرسية	الأستاذ سيد قطب	٢٧
اختبار الشخصية		٣٠
أغراض التربية الأمريكية ومثلها العليا	الدكتور تشارلس وطسن	٣٣
التعاون المنزلى فى مصر	الدكتور ابراهيم رشاد بك	٣٩
مساهمة الأهالى فى مشروع المراكز الاجتماعية فى الريف	الدكتور أحمد حسين	٤٥
عيوب الرجل وآثارها فى حياة الأسرة	السيدة زاهيه مرزوق	٥٠
الجريدة وكيف تقرأ		٥٤
النجاح والتفوق	الأستاذ سلامه موسى	٥٧
هجرة سكان المدن إلى الريف		٦٠
كيف نربى المرأة التى تريدنا		٦٣
المعلم الالزامى فى ميدان الحياة الاجتماعية	الأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم	٦٦
لكى تكون انسانا مهذبا	بقلم صريح	٧٠
مسكن الفلاح	الأستاذ محمود فهمى	٧٤
خواطر وملاحظات		٨٠
جرائم النقل	اليوزباشى صالح زكى	٨٣
مكتبة الأطفال وكتبهم		٩٠
المقاهى وأثرها فى المجتمع المصرى	الأستاذ أحمد حلمى على	٩٢
بطاقات لتهذيب الذوق العام	بقلم مصلح	٩٥
متفرقات اجتماعية		٩٨
السعادة الزوجية وهل يمكن التكهن بها		١٠٣
المخدرات فى مصر فى عام ١٩٣٩		١٠٥
العادات الموصلة الى النجاح		١٠٨
الجمعيات التعاونية		١١٠
أسئلة وأجوبة		١١٩

أخلاق انجليزية

حبذا لو نقتبس منها أو نقتدى بها

حديث مع حضرة صاحب السعادة أحمد محمد حسنين باشا

عظمة الشعب شيء وسر هـذه العظمة شيء آخر ، ومن العبث المطلق أن نشخص بعيون مذهولة إلى عظمة الشعب البريطانى وضخامة موارده وقوة أسطوله وبسطة نفوذه وثقافة أبنائه ، دون أن نبحث سر هذه العظمة لنعرف الأسباب التى جعلت من سكان هذه الجزيرة سادة امبراطورية قيل فى وصفها بحق إن الشمس لا تغرب عن أرجائها .

والكتب التى وضعت فى شرح هذه الأسباب عديدة ومسهبة ، وهى ليست فى متناول يد الجميع ولا فى متناول أفهام الجميع . ولعل كثرة ما فيها من نظريات وتفاصيل وإحصائيات وفلسفات قد صرفت قراءها القليلين عن محاولة سبر هذه الأعماق فاكتفوا من تلك العظمة بمشاهدتها والإعجاب بها ، دون التأمل فيها ومعرفة أسرارها .

وحضرة صاحب السعادة أحمد محمد حسنين باشا أحد القلائل من كبراء المصريين الذين عرفوا الانجليز فى بلادهم وخبروا طباعهم ودرسوا أخلاقهم عن كثب ، وهو فوق هذا رجل دقيق الملاحظة موفق الاستنتاج ، يدرك بثاقب فكره ما تنطوى عليه الظواهر والمشاهدات من أسباب وعوامل خفية يدق إدراكها على الكثيرين .

ولقد آذنتنى الفراسة بأنه الرجل الذى يفهم ما أرمى إليه عند ما أطلب منه باسم "مجلة الشؤون الاجتماعيـة" أن يحدثنى عن مزايا الانجليز وصفاتهم التى يحسن أن نقتـدى بها أو نقتبس منها ما نصلح به بعض الشيء من عيوبنا ونقائصنا .

لذلك ذهبت إلى سعادته وقلت له بلا مقدمات : "حدثنى عن الانجليز" .

أشعل الباشا سيجارة ولبث ينظر إلى لهب الثقاب إلى أن انطفأ ثم ابتسم وقال : أنت تذكرنى بطالب فى إحدى الجامعات طلب منـه أن يلقى على إخوانه فى الدراسة موضوعا لا يستغرق من الوقت أكثر من عشر دقائق ، فاختار موضوعا عنوانه "علم طبقات الأرض ، ماضيه وحاضره ومستقبله" .

فاحتججت قائلا : "ولكنى لا أطلب فى هذا الحديث القصير أن أعرض لماضى الانجليز وحاضرهم ومستقبلهم . وإنما أريد أن أعرف أهم المزايا التى كانت سر رقيهم وتفوقهم ، كما أريد أن أعرف الخواطر التى يوحى بها إلى ذهنكم ما تشاهدونه من نقص فى أخلاقنا نحن المصريين" كلما ذكرتم الانجليز وأخلاق الانجليز .

انفرجت أسارير الباشا وقال : " الحمد لله . الآن جعلت للحديث حدودا يمكن أن نحصر الكلام فيها فلا يمتد بنا الاستطراد إلى اعتبارات لا نهاية لها . ولكن لا تنتظر منى أن ألقى على قراء مجلتكم درسا فى علم الاجتماع ، ولا أن أذهب فأتقصى الأسباب والنتائج وأرتب الظواهر على المقدمات، فمثل هذه الأبحاث لا يمكن ان تكون موضوع حديث صحفى كالذى جئتنى من أجله ، و يقينى أنه ليس أثقل على نفس القارئ من النظريات الجافة والمقررات الفلسفية التى تتشعب فيها الأفكار وتختلف الآراء . فلنقصر حديثنا إذن على ذكر بعض المشاهدات واستعراض بعض الظواهر وسرد بعض الذكريات ، فلعل فيها ما يفيد القارئ مباشرة أو ما يدعوه إلى التأمل والموازنة والاستنتاج" .

وشخص الباشا ببصره نحو سقف الغرفة وصار يتتبع بعينيه حلقات الدخان المتصعدة من سيجارته ثم اقبل علىّ باسما وقال :

هل تدرى كيف يقدر الانجليز الرجال و بأى ميزان يزنون الشخصيات ؟ الرجل فى نظر الانجليز بقيمته الشخصية أولا وقبل كل اعتبار . فللقائد الممتاز أو الطيار المجازف أو الرحالة المغامر أو الرياضى المتفوق أو الصناعى المخترع أو العالم المستكشف مكانة عالية فى نفوسهم لا يتمتع غيره بمثلها مهما علا منصب هذا الغير أو كبرت ألقابه الممنوحة والموروثة. ولقد يحظى واحد من هؤلاء بمنصب رفيع فى الحكم فلا تطغى صفته الرسمية على الصفة الأخرى التى امتاز بها من قبل ولا تطمسها . فاذا حدث مثلا أن اختير أحد المخترعين أو المستكشفين نائبا أو وزيرا فان المخترع أوالمستكشف يظل هوالأهم فى نظر الانجليز، وهو الجدير بالتقديم والتكريم ، وهو الأولى بالاحترام والإجلال . وهذه الصفة التى ستلازمه مدى الحياة و بعد الممات هى التى يقدم بها الى الناس ،لأنها فى عرفهم مفخرة حياته ودليل تفوقه والبرهان المادى على أنه رجل ذو قيمة . فاذا قدمه كبراؤهم الى بعضهم قالوا: فلان المخترع المعروف أو فلان المستكشف المشهور ، وقليل منهم من يستدرك فيضيف:... وعضو مجلس العموم أو وزير الداخلية . ذلك بأن الصفة الرسمية صفة مؤقتة تحترم الاحترام الرسمى الواجب لها لا الواجب لصاحبها الذى ربما يكون قد وصل اليها بحكم حالات وظروف مستقلة عن كفايته ومواهبه.

" ومن هنا امتاز الشعب الانجليزى بروحه الوثابة و بغضه للحياة الهادئة الرتيبة ، وحبه للمغامرات والمجازفات ،وولعه بأخبار الاكتشافات الجديدة فى البر والبحر،والتوغل فى الجبال واقتحام الأجواء ، وارتياد المجاهل والأماكن الموحشة فى القارات . ولعل الرواج الذى تصادفه الكتب المؤلفة فى هذه المواضيع لا تصادف بعضه أمهات الكتب المؤلفة فى غيرها. والتلميذ الانجليزى يعرف اسم لفنجستون ومكتشفاته الافريقية و بيرى وسكوت ومكتشفاتهما القطبية ، ويهتم بتقصى حياة هؤلاء الرجال وتفاصيل مغامراتهم فى شوق لا مزيد عليه . والمجتمعات الانجليزية تتتبع أخبار رحلة جريئة كرحلة الطيار لندبرج من امريكا الى أوروبا

بنفس الاهتمام الذى نتتبع به هنا فى مصر أخبار أزمة وزارية شديدة أو أخبار قضية سياسية هامة. واذا جلست بين جماعة من الشبان الانجليز فى ناد ألفيت أحاديثهم تدور حول سيرة الابطال الرياضيين والألعاب الرياضية وأنواع الهوايات المختلفة . اما السياسة والأحزاب فلهما من الأحاديث أقل نصيب .

"وحب المغامرة وارتياد الآفاق ومعرفة المجهول هو الذى يجعل الانجليزى يقبل بارتياح على الوظائف فى المستعمرات النائية والأجواء المؤذية ولو كانت هذه الوظائف فى أقاصى الهند أو فى مجاهل السودان . وهذا يذكرنا مع الأسف الشديد بالشاب المصرى الذى اذا نقل من القاهرة الى طنطا أثار السماء والأرض وحرك جميع الوسطاء حتى يلغى نقله ويظل فى القاهرة .

" وأنت تعلم أن معظم الامبراطورية البريطانية انما قام على كواهل رجال مغامرين أمضوا حياتهم فى الغربة بعيدين عن الأهل والوطن، جاهدين فى سبيل تحقيق فكرة أو وضع أساس مشروع ، ولعلك لا تجهل اسم سيسل رودس وكيف مهد لانجلترا سبيل الاستيلاء على جنوب افريقيا، ورجال شركة الهند الشرقية وكيف عملوا هناك على جعل الهند مستعمرة بريطانية ، ولعلك لا تجهل مبلغ الحزن الذى استولى على انجلترا كلها لما ظهر أن الرحالة النرويجى امندسن قد سبق الفيطان سكوت الى القطب الجنوبى بمدة لا تتجاوز الأسبوع" .

قلت : " لعل الروح الرياضى الذى يسود حياة الانجليز هو الذى ينمى فيهم حب المغامرة وفضيلة الجلد والإقدام" .

فضرب الباشا مكتبه بقبضة يده وقال متحمسا : "بالطبع . . فاهتمام الانجليز بالرياضة لا يقل عن اهتمامهم بالثقافة بل لعله أكبر . . . وأرجو ألا تعجب اذا قلت لك إن بين كل عشر جماعات انجليزية لا تجد غير واحدة تتحدث عن السياسة أو التجارة أو الثقافة بينما الآخرون يتحدثون عن الرياضة وأخبارها. وليس الاهتمام بالرياضة هناك كما هو هنا، عبارة عن قراءة أنباء بعض المباريات وذكر اسماء بعض الأبطال الرياضيين والمراهنة على الخيول، وانما هو اهتمام يجعلهم يقبلون على أنواعها المختلفة رجالا وشيوخا ونساء وصبيانا ، حتى أنك تكاد لا تعرف انجليزيا لا يمارس نوعا منها . واهتمام الجامعات هناك بالألعاب الرياضية يفوق تصورنا نحن المصريين حتى ليسمح بعضنا لنفسه بالسخرية من فرط هذا الاهتمام .

" ان العناية بالرياضة فى جامعات بريطانيا العظمى لا يقل عن العناية بالتعليم نفسه . وهذه الجامعات تنفق نفقات عظيمة فى سبيل إعداد وتدريب وتهيئة الفرق الرياضية التى تضمن لها النصر فى المباريات . وجمهور الانجليز يعرف اسم "الكابتن" لفرقة إكسفورد أو كمبردج ويميز صورته ، فى حين أنه قلما يعرف أسماء الأوائل والمتفوقين فى كليات الآداب أو العلوم.

"وللرياضي المتفوق فى اكسفورد وكمبردج شارة يعرف بها. وهى زرقاء داكنة فى اكسفورد وزرقاء سماوية فى كمبردج وتسمى Blue . ولحامل هذه الشارة مكان ملحوظ فى المجتمعات البريطانيـة حتى أنهم اذا ارادوا أن يقولوا عن شاب إنه كامل الرجولة كامل المروءة كامل الأخلاق قالوا He is a blue وهم محقون فى ذلك، لأن الشاب لايحصل على هذه الشارة إلا بعد جهاد عنيف تقوده روح رياضية سامية تصهر نفسه وتنقى أخلاقه وتتم رجولته .

وكما أن النياشين تسحب من صاحبها إذا ارتكب جريمة مخلة بقواعد الشرف فإن الشارة الرياضية الزرقاء تسحب من حاملها إذا فسدت أخلاقه أو ساءت سمعته أو أصبح غير أهل لحملها لسبب من الأسباب . ذلك لأن الرياضة والأخلاق شيئان متلازمان يتم أحدهما الآخر .

"ولا تنس النظام Discipline عند الانجليز، فالنظام عندهم ليس قانونا ولا فرضا وإنما هو خلق فطرى يكاد لا يحتاج الى تعليم أو تلقين . وهذا الخلق يجعلهم يطيعون القوانين واللوائح والعرف عن رغبة واختيار لاتكلف فيهما ولا إكراه، وهذه الطاعة الاختيارية للنظام تراها فى المجالس النيابية كما تراها فى ميادين الرياضة، والاندية السياسية للأحزاب . فمتى اتفقت جماعة منهم على انتخاب رئيس وجبت طاعة هـذا الرئيس ولم يبق محل للاختلاف فى شأنه ولا للتفكير فى الخروج عليه . وما دامت رياسته قائمة فالكل يعرف لها حقوقها ويحترمها .

" أذكر ، لما كنت عضوا فى فرقة كرة القدم بكلية باليول ، أننا كنا فى مباراة هامة وأن الكرة وصلت إلى قدمى وأنا قريب من الهدف . فلما هممت بتصويبها إليه ، نادانى الكابتن أن أناوله إياها ، ولكنى رأيت الفرصة طيبة لإصابة الهدف فلم أطع الأمر وقذفت الكرة فأخطأت المرمى . ولقد لفت الكابتن نظرى بعد اللعب إلى هذه المخالفة ، ورجا منى ألا تتكرر . ثم حدث بعـد ذلك أن كنا نلعب فى مباراة أخرى وتجدد نفس الموقف وكنت هذه المرة قريبا جدا من الهـدف فنادانى الكابتن : هات يا حسنين ، ولكنى لم أستمع إليه وضربت الكرة فأصابت المرمى . فهل تدرى ماذا جرى ؟ استدعانى الكابتن إليه وقال لى : " إنك يا صاحبى تأبى أن تخضع للنظام ، ولذلك أبلغك مع الأسف الشـديد أنى لا أستطيع الاحتفاظ بك فى فرقتى بعد الآن " فاحتججت بأنى كنت على حق ، بدليل أنى أصبت المرمى ، فقال لى : " ولو ... النظام قبل كل شىء " وهكذا فصلت من الفرقة لأنهم يعتبرون النظام ولو أدى إلى فشل خيرا من الفوضى ولو أدت إلى نجاح ...

"ولعل من أبرز صفات الانجليز اعتزازهم بالكرامة القومية وبغضهم للفضائح وإعراضهم عن القال والقيل . فالتحفظ عندهم يشبه الحياء ، وهو يعم السكان أفرادا وجماعات . وقلما تسمع فى انجلترا عن فضيحة تمس رجلا من رجال الدولة أو موظفا كبيرا أو هيئة من الهيئات العـامة . ولست أريد بذلك أنهم شعب منزه عن الخطأ ، ولكنى أعنى أنهم يغسلون ثيابهم القـذرة فى بيتهم ولا يعرضونها على الأنظار . فإذا زل أحد كبار الموظفين أو ارتكب خطأ عظيما عمدت الحكومة إلى التخلص منه بلا كشف يفضح ولا تحقيق يهين . وإذا ظهرت

بوادر فضيحة سياسية أو إدارية أو مالية بادرت الحكومة إلى سترها أولا ثم إلى معالجتها بعد ذلك فى غير ما شوشرة ولا إعلان . وهكذا تصون الحكومة هيبة الحكم ولا تعرض الهيئات العامة إلى عبث العيل والقال " .

وابتسم الباشا وهز رأسه كمن يريد أن يتكلم فتمنعه بعض الاعتبارات . فقلت : لعل ذلك يذكر سعادتكم بحبنا نحن المصريين لإظهار فضائحنا وهوايتنا الشديدة للتشهير والتنديد ، وحرصنا على هدم كبرائنا والإساءة إلى سمعة زعمائنا وذلك الصراع الحزبى الذى لا يبقى على عرض ولا كرامة شخصية .

فصمت الباشا طويلا ثم قال : " ليس من شأنى أن أخوض فى مثل هذه الأشياء ، وأنا إنما أحدثك عن الانجليز لا عن المصريين ، ولك أن تستنتج وتوازن وتستخلص كما تشاء . دعنى أقول لك أيضا إن من أسمى الأخلاق الانجليزية الشجاعة فى تحمل التبعات وبغض التهرب منها وتمحل الأعذار لتبريرها ، فلا يكبر على نفس الانجليزى عند ما يخيب فى سعى أو عند ما يفشل فى عمل أن يصرح بالخيبة وأن يرجع أسبابها إلى تقصير قصره أو خطأ وقع فيه ، ولست تسمع منه عبارات " لو كان ... ولولا أن ... وماذا أفعل ... " وهذا خلق يدل على الرجولة الكاملة وتقدير معنى المسئولية والشجاعة التى لا تجعلك تلقى التبعة على غيرك ما دمت تعرف أنك أنت المسئول .

" ووطنية الانجليز وطنية صامتة ، والانجليز على وجه عام يعتبرون من الشعوب الشمالية التى لا تصخب فى احتفالاتها ومظاهراتها ، وحبهم لوطنهم يعد من الأشياء الطبيعية التى لا تحتاج إلى طنطنة ولا يليق بأحد أن يفخر بها أو يفاخر بها غيره . والتضحية الوطنية عندهم أمر عادى لا يتحدثون به ولا يتباهون ، بل ولا يخطر ببالهم أنهم يستحقون عليه مكافأة أو تكريما . ولقد جاش الانجليز مئات السنين وهم لا يحتاجون إلى نظام إجبارى للخدمة العسكرية ، لأن كلا من الجيش والبحرية والطيران كان يجد جنوده بالتطوع ، ووطنية الانجليز تبدو فى السلم كما تبدو فى الحرب ، فإن أعظم المؤسسات الاجتماعية الكبرى قد أنشأها وطنيون من الانجليز وقد أخفى بعضهم حتى اسمه وتقدم للخدمة العامة وهو جندى مجهول . وهناك أفراد من الأغنياء قد تبرعوا لأعمال البر والخير بملايين من الجنيهات ، ولعلك تعلم أن لورد نفيلد صاحب مصنع سيارات موريس قد بلغت تبرعاته فى هذا السبيل خمسة عشر مليون جنيه .

" ومن الأمراض الخلقية التى برئ منها الانجليز : المحاباة ، محاباة الأقارب والأصدقاء والمحاسيب ، ذلك السوس الذى ينخر فى عظام الدولة فى كثير من الأمم ، لا يعرفه الانجليز ، فالجميع عندهم أمام القانون وأمام النظام سواء ، وهذا هو الشأن فى المناصب والتوظيف والترقى والمكافآت والواجبات العامة ، لا تمييز لطبقة على طبقة ولا لفرد على فرد ، ولا فرق بين ابن العامل الصغير والوزير الكبير .

" حدث فى الحرب العالمية الماضية أن أشيع أن ابن مستر لويد جورج رئيس الوزارة إذ ذاك قد وضع فى خط خلفى من خطوط المحاربين حتى لا يتعرض للقتل فى الصفوف الأمامية . وقد سئل مستر لويد جورج عن ذلك فى البرلمان ، فصعد الى المنبر وأعلن أن هذا الزعم محض افتراء وأن ابنه فى الخط الأول من خطوط النار ، وقال إنه مستعد لأن يذكر للسائل موقع هذا الخط بصفة سرية ، لأنه يخشى أن يعلم العدو هذا الموقع إذا صرح به علانية . وهذه الاشاعة إن صحت تعرض رئيس الحكومة لموقف خطير قد يؤدى الى سقوطه باعتبار أنه رجل يستغل نفوذه لتحقيق منافع شخصية. وحدث أيضا فى تلك الحرب أن وضع نظام البطاقات على كثير من الأطعمة . وقد ذكر مستر لويد جورج فى مذكراته عن الحرب أنه عندما كان يطرأ عليه ضيف فى تلك الأيام كان يحرم نفسه من كمية الزبدة أو اللحم المقتررة له لكى يقدمها للضيف . وليس ثم دليل أكبر من هذا على حرص الموظفين الانجليز فى تعميم المساواة لا يحابون كبيرا ولا يظلمون صغيرا ، وفى هذا أيضا دليل على اطمئنان الشعب ، خاصته وعامته ، إلى العدالة وحسن تطبيقها على الجميع .

" ولا بد لى من أن ألفت نظرك إلى أن المدرسة الانجليزية تمتاز بكونها تعنى بتعليم الأخلاق عنايتها بتعليم العلوم ، فالمعلم الانجليزى صديق تلميذه ورقيبه ومرشده ، وهو لا يحصر اهتمامه فى المواد الدراسية التى يلقنها لتلميذه ، وإنما يدع هذا الاهتمام يمتد الى تعرف استعداد هذا التلميذ واستكشاف مواهبه واتجاهاته التى لا تزال غامضة ، والى توجيهه التوجيه الذى يناسب هذا الاستعداد وينمى تلك المواهب ، كما يمتد الى تعرف أسلوب المعيشة الذى يتبعه التلميذ فى حياته . وهنا ترى نوعا من المزاملة يسود معاملة الأستاذة للتلاميذ ، إذ يصحبونهم الى النزهة فى الخلاء أو الى زيارة بعض الأماكن ويتحدثون اليهم فى مختلف الشؤون أحاديث فكهة طريفة تنطوى على التهذيب والتقويم والارشاد من دون أن يبدو عليها وقار التدريس ولا جد التعمد . وهكذا يتعلم الشاب الانجليزى الأخلاق وهو يلهو ويتنزه ويعبث ويلعب . وبديهى أن الأخلاق لا يمكن تعليمها بالتلقين وانما هى تعلم بالقدوة الحسنة والمثل الطيب والايحاء الصالح والتعليق على الحوادث والأشخاص تعليقا ذكيا تستخلص منه العظات والعبر الفاضلة فترسخ فى النفس رسوخا يؤثر فيها مدى الحياة . والبيت الانجليزى يعاون المدرسة فى تكوين أخلاق الطفل وصيانتها من المؤثرات الضارة. والطفل الانجليزى لا يشهد فى البيت مناظر التنافر والمشادة بين والديه ، ولا يخلى منهما بهذا التدليل الأحمق الذى يصور له أن الدنيا كلها قد جعلت لإرضائه والاستجابة لرغباته ، ولا يتسامح معه فيما يستحق اللوم أو التعنيف أو العقاب ، ولا يكافأ على كل عمل يحسنه حتى لا يفهم أن الأصل فى الحياة هو التهاون والتراخى وأن الاحسان عمل ممتاز يمنح من أجله المكافآت وتغدق عليه بسببه الهبات .

" والشاب الانجليزى أنيق فى هندامه ، ولكن أناقته بعيدة عن صفات الأنوثة . فهو لا يتعطر ولا يطلى أظافره بالملمعات ولا يتعمد أن يجعل رباط رقبته وجوربيه ومنديله من لون واحد ولا يترك المنديل يتدلى على صدره ولا يتحلى بالجواهر . ولو أن تفصيل الملابس للرجال فى لندن لا يساويه فى الأناقة إلا تفصيل ملابس النساء فى باريس ، الا أن السمات الغالبة فى هذا التفصيل هى المحافظة على مظهر الرجولة التامة وتأكيد المتانة قبل كل شىء .

" وكما نرى الانجليزى يتحفظ فى هندامه ويكره البهرجة ، تراه يتحفظ فى لغته وإيماءاته وكلامه . فهو ساكن فى الحديث قلما يرفع الصوت أو يكثر من الاشارات . وهو فى الغالب صامت ، ولا يتكلم إلا عند ما يجب الكلام ، فعندئذ يتكلم ولكن بقدر ويعبر عن رأيه بأقل عدد ممكن من الكلمات . ولعلك لاحظت أن الانجليزى لا يقول شيئا بلهجة التأكيد ولا يستعمل صيغة المبالغة ولا أفعل التفضيل ولا يعزز أقواله بالأيمان ولا يلجأ الى الكلمة الجارحة إذا وجد عبارة مؤدبة تؤدى معناها . وإنما تسمعه يقول : أظن . . وأرجح . . ومن أحسن ما رأيت . . . . وفلان شخص يحذر منه . . . أو غير مرغوب فيه . . وهكذا .

" وبعيد جدا أن تسمع شابا انجليزيا يتحدث عن غرامياته ، أو يفخر بغزواته فى هذا الميدان أو يذكر اسم سيدة عرفها . فالغرام عند الانجليز يكاد يكون مقدسا ، وهو سر حميم بين الواحد وحبيبته لا يبوح به ولا يجرى على لسانه . وإذا حدث وسمح شاب لنفسه أن يفعل ذلك فى جمعية من الأصدقاء فإن الآخرين لا يترددون فى طرده من بينهم .

" والانجليزى أيضا يكره المقهى والسهر فيه ، لأنه يحب بيته ويريد أن يكتن فيه . فاذا أراد الاجتماع بالاصدقاء التحق بأحد الأندية التى تجمع بينه وبين زملائه فى الطبقة الاجتماعية التى ينتسب اليها . وهناك يختلط بأعضاء يعرفهم ولا تفنى شخصيته فى مجموعهم . ومن ثم فالأندية كثيرة فى لندن ، حتى لقد تعد بالمئات ، أما القهاوى العامة فقلما تجدها إلا أن يكون ذلك فى الأحياء التى يقطنها الأجانب " .

وهنا نظر الباشا إلى ساعته وقال : " إن للمواعيد قيمة كبرى عند الانجليز ، والمحافظة عليها خلق من أظهر أخلاقهم وأدب من أبرز آدابهم . ولم أعرف انجليزيا أخلف موعدا معى إلا أن يكون ذلك لعذر خارج عن إرادته . ومع ذلك فهو لا يفوته أن يخطرك فى الوقت المناسب حتى لا تضيع وقتك فى انتظاره سدى " .

قلت وقد أعجبتنى هذه الاشارة اللطيفة وهممت بالانصراف : " يظهر أن سعادتكم على موعد قريب " فضحك الباشا وهو يمد يده مسلما وقال : " هذا صحيح وإذا كنت ترى أن الموضوع يتطلب المزيد فلنرجئ البقية الى فرصة أخرى " .

وخرجت وأنا أفكر فى هذا وأقول لنفسى : أين كل هذا مما نراه فى مصر ... سبحانك ربى إن الفرق لعظيم ! .

حسن الشريف